بسم الله الرحمن الرحيم

يدندن بعض السذج حول مسألة خروج بعض الصغار مع آبائهم إلى ساحات الجهاد، يرابطون فيها بين تربية وتعليم ودعوة وإعداد، وما دندنتهم تلك إلا لقلة علمهم أو العناد..

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... **وشاب نشأ في عبادة ربه**) [متفق عليه] ومن أعظم العبادات، وأجل القربات: الجهاد في سبيل الله تعالى، والرباط والإعداد..

ومن الحكمة في تربية الصغار، إنزالهم منازل الرجال الكبار، فقد جاء من طريق عبد الله بن مصعب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع أبناء المهاجرين والأنصار الذين ولدوا في الإسلام، حتى ترعرعوا، **فوقفوا بين يديه، فبايعهم، وجلس لهم**.. [الإصابة 1049/2] وروى أبو يعلى بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **كان الحسن والحسين يصطرعان بين يديّ رسول الله صلى الله عليه وسلم،** فجعل يقول: "**هَي حسين**" فقالت فاطمة: لم تقل هي حسين؟ فقال: "إن جبريل يقول: هي حسين".. والحسن ولد سنة ثلاث من الهجرة، والحسين ولد سنة أربع من الهجرة.

وعن عبد الله بن الزبير قال: كنت أنا وعمر بن أبي سلمة يوم الخندق مع النسوة في أطم حسان **فكان**

يطأطئ لي مرة فأنظر وأطأطئ له مرة فينظر فكنت أعرف أبي إذا مر على فرسه في السلاح إلى بني قريظة. قال: فذكرت ذلك لأبي. فقال: **ورأيتني يا بني** ؟ قلت: نعم. قال: أما والله لقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أبويه فقال: فداك أبي وأمي. [متفق عليه] قال الإمام النووي رحمه الله:قوله: (كان يطأطئ) .. **ومعناه يخفض لي ظهره**. وفي هذا الحديث دليل لحصول ضبط الصبي، وتمييزه وهو ابن أربع سنين، فإن ابن الزبير ولد عام الهجرة في المدينة، وكان الخندق سنة أربع من الهجرة على الصحيح، **فيكون ضبطه لهذه القضية دون أربع سنين**. اهـ [شرح صحيح مسلم 15/269-270] وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فيه صحة سماع الصغير، وأنه لا يتوقف على أربع أو خمس، **لأن ابن الزبير كان يومئذ ابن سنتين وأشهر أو ثلاث وأشهر** بحسب الاختلاف في وقت مولده وفي تاريخ الخندق، فإن قلنا إنه ولد في أول سنة من الهجرة وكانت الخندق سنة خمس فيكون ابن أربع وأشهر، وإن قلنا ولد سنة اثنتين وكانت الخندق سنة أربع فيكون ابن سنتين وأشهر، وإن عجلنا إحداهما وأخرنا الأخرى فيكون ابن ثلاث سنين وأشهر..اهـ [فتح الباري 104/7] ومما يُستنبط من فقه هذا الأثر: **جواز مشاهدة الصبي الصغير لإصدارات المجاهدين المرئية لعملياتهم وتدريباتهم ونحوها.**

وأما مشاركة الصغار في القتال، وحضورهم أرض النزال، فهو كثير في سير السلف وتراجمهم:

فعن عروة قال: أسلم الزبير، ابن ثمان سنين، ونفحتْ نفحةٌ من الشيطان أنَّ رسول الله أُخِذَ بأعلى مكة، **فخرج الزبير وهو غلام، ابن اثنتي عشرة سنة، بيده السيف**، فمن رآه عجب، قال: الغلام معه السيف**!** حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما لكَ يا زبير؟ فأخبره وقال: أتيتُ أضربُ بسيفي من أخذك.اهـ [حلية الأولياء 89/1]

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي **فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما** تمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك فغمزني الأخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس قلت ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال (أيكما قتله) . قال كل واحد منهما أنا قتلته فقال (هل مسحتما سيفيكما) . قالا لا فنظر في السيفين فقال (كلاكما قتله ..) . [أخرجه البخاري]

قال الإمام القرطبي رحمه الله: **إن الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ،** وتقابله الجارية في النساء.اهـ [تفسير القرطبي 21/11]

وقال الإمام ابن إسحاق في ترجمة "سمـرة بـن جندب" : قدمت به أمه بعد موت أبيه، فتزوجها رجل من الأنصار، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم **يَعْرِض غلمان الأنصار**، فَمرّ به غلام، فأجازه في البعث، وعُرِض عليه سُمرة فردَّه، فقال: **لقد أجزتَ هذا ورددتني، ولو صارعته لصرعْتُه، قال: (فدُونَكَه، فصارعه) فصرعه سَمُرة، فأجازه.**

وعن هشام بن عروة قال: كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير: (**السيف**)، فكان لا يضعه من فيه، فكان أبوه إذا سمع ذلك منه يقول: **أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام**.اهـ [البداية والنهاية 208/11]

وعن عروة أن الزبير **أركب ولده عبد الله يوم اليرموك فرساً وهو ابن عشر سنين**، ووكَّل به رجلاً. [أخرجه البخاري] وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير: "أنه كان مع أبيه يوم اليرموك، فلما انهزم المشركون **حمل فجعل يجهز على جرحاهم**".اهـ قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: (ابن عشر سنين) هو بحسب إلغاء الكسر، وإلا سنه حينئذ **كان على الصحيح اثنتي عشرة سنة**.اهـ [فتح الباري 375/7]

ومن أعظم أمانينا أن يرزقنا الله بأولاد ينشئون في الثغور، ويقاتلون كل كفور، ولقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: "**باب من طلب الولد للجهاد**"

وأخرج فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين **كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله** فقال له صاحبه: قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل **والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون**).. وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري 711/10 : أن طلحة قال للزبير: أسماء بنيَّ أسماء الأنبياء وأسماء بنيك أسماء الشهداء، فقال: **أنا أرجو أن يكون بني شهداء، وأنت لا ترجو أن يكون بنوك أنبياء!** فأشار إلى أن الذي فعله أولى من الذي فعله طلحة. اهـ

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِيْنَا
إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

وكتب: **أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري**

1430هـ - 2009م

17

صغار كبار

كتبها

أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري

هذه المطوية تحتوي على علم نافع، فاجتهد أن تنشرها بين إخوانك ومعارفك وسائر المسلمين عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم (بلغوا عني ولو آية) فتكون قد حزت ثواب الدعوة للتوحيد والجهاد، وقد قال صلى الله عليه وسلم (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)؛ فجزى الله كل من ساهم في نشرها خيرا.